الشيوعي السوفياتي، بوريس بوناماريوف. وفي البيان المشترك الذي أصدر عقب المباحثات، ركزت موسكو على زيادة الدعم لحركة المقاومة الفلسطينية. طبعاً، من الصعب الاقتناع بهذا المستوى من التبسيط لتلك الزيارة التي اثمرت، بالفعل، صفقتين: الاولى، سياسية، تقضي بادماج منظمة «الانصار» في «فتح»، في مقابل تعاون سياسي بين انصار «فتح» والشيوعيين داخل الاراضي المحتلة في اطار «الجبهة الوطنية الفلسطينية»؛ والثانية، عسكرية، حيث وصلت، تباعاً، منذ أيلول (سبتمبر)، شحنات من الاسلحة، ولكن هذه المرة، عبر الموانىء السورية[١٨]. وبهذا غدت سوريا، عرّاباً للعلاقات الفلسطينية ـ السوفياتية.

ان التوازن الاقليمي الجديد، الذي نتج عن حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، أتاح للطرفين المعنيين، م.ت.ف. والاتحاد السوفياتي، ان يندفعا إلى واجهة الساحة الاقليمية. بالنسبة إلى موسكو، أساءت الضربات التي تلقتها في المنطقة إلى مكانتها فيها، فيما نجحت الولايات المتحدة الاميركية في الاستيلاء على المواقع التي كانت تحتلها موسكو من قبل، وضمنت تعاون محور مركزي يربط القاهرة بالرياض، تتجمع حوله مواقف البلدان الاخرى الاقل نفوذاً[١٩]. من هذا المنظور، تابعت موسكو سياسة تقوم على الشعار التالي: الاستفادة من أي فرصة، من أجل تحقيق مكسب سياسي تضعف فيه أهمية الاعتبارات الايديولوجية. هكذا، اذاً، وبينما كانت واشنطن تحسن مواقعها في مصر والسودان وفي بلدان أخرى، كانت موسكو، منذ نهاية العام ١٩٧٣، تعمل، بشكل واضح، على التقرب من م.ت.ف. نتيجة غياب الشريك الاقليمي الثابت والنافذ، بقصد ادخال عناصر المعادلة السياسية السائدة في المنطقة. وفي هذا السياق، يشار، بصفة خاصة، إلى البيان السوفياتي ـ اليوغسلافي المشترك الذي أصدر في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣، اذ جاء فيه: «يجب، أيضاً، احقاق الحقوق القومية المشروعة لشعب فلسطين العربي»[٢٠].

كانت الصورة، بالنسبة الى م.ت.ف. تبدو زاهية بعض الشيء. فبعد تردد طويل، اعتبرت موسكو عرفات ممثلاً للقضية الفلسطينية؛ ومن مجرد مدعو بصفة غير رسمية، تحوّل الزعيم الفلسطيني إلى محاور لموسكو، بصفته ممثلاً للشعب الفلسطيني. وتلقى عرفات، في نهاية تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣، رسالة «هامة جداً» من القادة السوفيات، قيل انها احتوت على توضيح عزم موسكو على السعي إلى توجيه دعوة إلى م.ت.ف. لتشارك في مؤتمر السلام الذي كان يجرى التحضير له، بوصفها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني. وتلقى عرفات، أيضاً، دعوة إلى زيارة موسكو من اللجنة السوفياتية للتضامن الافرو ـ آسيوي، فسافر، في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر)، وفد فلسطيني؛ وفي ٢٦ من الشهر ذاته، أُصدر البيان الرسمي، الذي أكد فيه الجانب السوفياتي «عزمه القاطع على تقديم المزيد من الدعم والمساعدة إلى نضال شعب فلسطين العربي، من أجل حقوقه الوطنية المشروعة»[٢١].

توالت اللقاءات بين القادة السوفيات ورئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. عرفات خلال العام ١٩٧٤. فعندما زار اندريه غروميكو القاهرة ودمشق، في نهاية شباط (فبراير)، اجتمع ثلاث مرّات إلى الزعيم الفلسطيني، وقيل ان الطرفين تناولا مسألة اشراك الفلسطينيين في مؤتمر جنيف. وذكر عرفات، بعد ذلك، ان موسكو تعتبر م.ت.ف. ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني، وانها لن ترضى بتسوية لا تتأمن فيها حقوق الشعب الفلسطيني الوطنية. ومنذ النصف الثاني من العام ١٩٧٤، تبدل موقع المنظمة جذرياً؛ ففي تموز (يوليو)، تلقى عرفات رسالة من ليونيد بريجنيف، تتضمن دعوة إلى زيارة الاتحاد السوفياتي. وعلى الاثر، توجه عرفات في نهاية الشهر ذاته إلى موسكو، حيث استقبل